تعرف على القرآن

من سور القرآن وآياته

عبد الوهاب الطريري أبا الخيل

تعرَّفْ على القرآن

مِن سُوَر القرآن وآياته

تعرَّفْ على القرآن

مِن سُوَر القرآن وآياته

عبد الوهاب الطريري أبا الخيل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أقدّم تحياتي الصادقة ودعواتي الخالصة إلى كلّ الأعزّاء الذين بدؤوا قراءة هذا الكتاب، ولا أدعي أنني أقودكم في هذا الكتاب، ولكني أسير معكم في رحلة نستكشف فيها معاً معالم طريق الحياة، وتصحبنا فيها هدايات القرآن وتغمرنا أنواره.

إن آيات القرآن هي أصدق كلمات الله لدى البشرية، وأكثرها وثوقاً وتوثيقاً، ولم تُحفَظ آيات وحي الله كما حُفِظت آيات القرآن، وهو كلمة الله الأخيرة إلى البشرية على كوكب الأرض، وهو مصدر الهداية القويمة للإنسانية، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فهو أقوم اجتماعيّاً، وأقوم حضاريّاً، وأقوم سياسيّاً، وأقوم روحيا وجسميّاً، وأقوم حياتيّاً[1].

(١) «جُدَد بِيض: إعادة تعريف القرآن» د. الخضر حليس (١٣).

وليس هناك أحد من البشر إلا وهو بحاجة إلى قراءة آيات القرآن التي أنزلها الله إلى البشرية، ليجد الإجابة الصحيحة الواضحة على أسئلة الوجود الحرجة: من أين أتيت؟ ولماذا؟ وإلى أين أتجه؟ وما المصير الذي سأنتهي إليه؟

ففي آيات القرآن تتضح الحقيقة، وتُعرَف المهمة، ويتحدد الاتجاه، وتُعرَف النهاية والمصير، فترتفع عن أعيننا غشاوة الحيرة، ويرتفع عن قلوبنا اضطراب القلق، ونتلقى أصدق الإجابات عن أخطر أسئلة الوجود وأكثرها إلحاحاً، فنجد بعد الحيرة إيماناً ويقيناً، وبعد القلق سكينةً واطمئناناً، ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن: ١١].

وفي هذه الصفحات، سورٌ من سور القرآن الكريم وآياتٌ من آياته، مع تعليق يسير يُقرِّب معانيها؛ لتكون نموذجاً معرِّفاً بالقرآن لمن لم يقرأه، فيجد فيها شعاعاً من ضيائه وقبساً من أنواره، ولتكون محفزاً للاستزادة من هدايات القرآن وآياته.

وهذا القدر لا يُغني أحداً ولا يكفيه عن قراءة القرآن كاملاً من أوّله إلى آخره، ولكنه مُعين له إذا قرأه وقد اتضحت في ذهنه معالمه، وقضاياه الكبرى، ومساراته العامّة.

وأسأل الله أن يهدي به كلّ متطلّبٍ للحقّ وباحث عن الحقيقة.
﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [البقرة: ٢١٣].

عبد الوهاب الطريري
إسطنبول، بشاك شهير
٢٨/ ٢/ ٢٠٢٥م

تمهيد

التعريف بالقرآن الكريم

أولاً: كيف أنزل القرآن

ثانياً: براهين القرآن

ثالثاً: دلائل صدق القرآن

رابعاً: حفظ القرآن

أولاً: كيف أُنزِل القرآن؟

إنّ وجود هذه الأجيال البشرية على هذه الأرض لم يكنْ عبثاً ولا مصادفة، ولكنه وجود لحكمة إلهية هي حكمة الخالق يوم خلقهم، وهو وجودٌ عابر يعقبه وجود خالد؛ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وكان من حكمة الرب الخالق ورحمته أنه لم يترك البشرية لتبحث في حيرة عن حكمة وجودها، وطريق مسيرها، وعاقبة مصيرها، ولكن اختار من خلقه الذين خلقهم رسلاً له اصطفاهم واختارهم بحكمته لأنهم الأليق من بين البشر بحمل رسالته.

ثم أرسل هؤلاء الرسل بكتب أنزلها إليهم، وبوحي أوحاه لهم ليبلغوه للناس وليقولوا لغيرهم من البشر هذا كلام الله الموجه إليكم، لتتبعوه، وهذا أمره لتطيعوه، وهذا صراطه لتسلكوه.

فتنزَّلتِ الكتب على رسل الله السابقين إبراهيم وموسى وداود وعيسى وغيرهم من أنبياء الله، وكان خطاب الله إلى البشرية وحياً يوحيه إلى رسله ليبلغوه إلى البشرية، وهو مظهرٌ من مظاهر رحمة الله بخلقه، حيث لم يتركهم في حيرة وضلال، ومظهرٌ من مظاهر تكريم الله لخلقه حيث يتوجه الخالق العظيم الكبير إلى هذا المخلوق القليل الضئيل بخطابه، ويجعله أهلاً لكلام يتكلم به إليه، ووحي يوحيه إلى الرسل ليبلغوه له.

فالبشرية نالت تكريماً علوياً أن الله تكلم إليها، ونالت تكريماً علوياً أن أختار الله منها رسلاً يبلغونها كلماته.

ونالت فضلاً ورحمة من الله أن وجه لها الهداية فلا تعيش في عماية الضلال، ولا تتخبط في متاهة الحيرة.

فأنزل إليها وحياً يبين فيه الحكمة من الخلق، والواجب على الخلق أن يعملوه، والطريق القويم الذي عليهم أن يسلكوه، ثم جزاءَهم ومصيرهم النّهائيّ الخالد.

إن وحي الله المنزل هو الحقائق العظمى الهادية التي لا يمكن للبشر أن يدركوها بمجرد التفكير والتساؤل، ولكن عندما يتلقونها ستتقبلها فطرهم السليمة التي فطرهم الله عليها، ولذا كانت البشرية بأمس الحاجة إلى تَلقِّي هذه الهداية من الخالق العظيم، وكانت

النعمة والرحمة والإكرام من الله بإنزال هذا الوحي عليهم عظيمة حينما تعاهد الله أجيال البشرية بوحيه الذي أوحاه، وكتبه التي أنزلها على رسله فكانت هذه الكتب الإلهية إشعاع الهداية في مسيرة تاريخ البشرية المتطاول.

وكما نزلت الصحف على إبراهيم والتوارة على موسى والإنجيل على عيسى عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ كان نزول القرآن الكريم على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

تكلم الله به ونزل به روح القدس، فأوحاه إلى النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما أوحى إلى الانبياء قبله، واختار الله أن يبلغه إلى البشر بشرٌ مثلهم، هو خيرهم وأفضلهم، اختاره الله ليكون رسوله إليهم، كما اختار قبله إبراهيم وموسى وعيسى عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ رسلا إلى أممهم.

فهو آخر الكتب الإلهية المقدسة أنزل على آخِرِ الرّسل، ليكون الكتاب الخالد للبشرية، تصاحبهم هدايته جيلاً إثر جيل إلى نهاية عمر هذا الكون، وامتداد هذه الحياة.

ثانياً: براهين القرآن

لم يرسل الله نبياً إلا جعل معه علامةً تدلّ على صدق نبوّته ممّا لا يمكن أن يأتي البشر بمثله، كما جعل العصا آية لنبيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُلقيها في الأرض فتصير حيّةً تسعى، ويَضرب بها البحر فيصير طريقاً يبَساً، ويضرب بها الحجر فيتفجر منه الماء عيونا.

وجعل لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علامة وهي إحياء الموتى، وشفاء الأعمى والأبرص.

وهذه العلامات الحسية كانت مناسِبة للأمم السابقة، أمّا النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقد كانت رسالته عابرة للزمن، ولذلك كان دليل نبوته خالداً، متجدداً مع كل جيل ولكل أمة، وهو القرآن الذي أنزله الله إليه، فهو دليل النبوة الظاهر القاهر.

قال النبي ﷺ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيته وَحْياً أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

فالقرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ أنزله على رسوله، وبلّغه الرسول كما تكلم الله به، فسمع الناس من هذا الرسول كلاماً لم يسمعوا قبله مثله، وكيف تظنّ أن يكون كلام الله عَزَّوَجَلَّ بالنسبة لكلام البشر في لفظه وفي معناه، ففضل كلام الله على غيره من الكلام كفضل الله على خلقه.

جاء القرآن متميّزاً في بيانه، فلا يُشبه شعر الشعراء، ولا خطب الخطباء، ولا حكم الحكماء، هو صياغة فريدة، وتقسيم للكلام غير مسبوق، في سوره وآياته، فلا يوجد هذا النظام في كلام قبله ولا بعده.

وتمتاز آياته بالإيجاز العجيب فتعبِّر بكلمات قليلة عن قضايا كبيرة يصعب التعبير عنها في العادة إلا بجمل طويلة.

وهو مبهر في خطابه للناس، ففيه البرهان العقلي، والخطاب الوجداني، جمع بين إقناع العقل وإثارة المشاعر، فكان له سطوة على كل من سمعه، أن ينصت له، وأن يتأثر به.

(١) «صحيح البخاري» (٤٩٨١)، و«صحيح مسلم» (١٥٢).

ثم إن خطابه الـمُبهر يستوعب الناس على تفاوت مستوياتهم، فلا ينزل عن ذكاء الأذكياء، ولا يرتفع عن فهم العامة والبسطاء، فكلٌّ يُدرك منه بحسب فهمه.

وكل كلام إذا كررته مللته إلا القرآن، فكلَّما كرّرته ازددت إعجاباً به وشوقاً إليه، وكلّ كلامٍ إذا أعدتَ قراءته اكتشفت عيوبه إلا القرآن إذا كرّرته اكتشفت مزاياه.

وعندما أتى النبي ﷺ إلى الناس بهذا القرآن كان جازماً قاطعاً يقول لهم بكل طمأنينة ووثوق: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]. ثم يلفت نظرهم إلى عظمته بأن يطلب منهم أن يحاولوا أن يأتوا بسورة واحدة في مثل نظامه ومعناه، ثم يخبرهم بنتيجة المحاولة لو حاولوا وأنهم لن يستطيعوا وإن استعانوا بكل أحد مهما تكررت المحاولات وتطاول الزمن، فقال: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]. وقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨]. وهذا التحدي ليس بين النبي وقومه العرب فحسب، بل بينه وبين البشر جميعاً على اختلاف ألسنتهم وأجناسهم، بل بينه وبين الإنس والجن مجتمعين في زمانه وكلّ زمان يأتي بعده.

وصُدم المشركون مِنْ قومه بهذا التحدي، فهم أعلم الناس بالبلاغة والبيان، وأعرف الناس بمستويات الكلام، ولِذا دُهشوا ووجموا، وشعروا أن هذا مستوى من القول لا يمكن السّموّ إليه، ولا يجرؤ أحد على محاولة الإتيان بما يماثله.

ومنذ ذلك اليوم الذي أُنزل فيه القرآن وأُعلن هذا التحدي وإلى هذا اليوم لم توجد محاولة جادّة لتأتي بمثل هذا القرآن، ولن توجد.

ولا يزال لهذا القرآن تأثيره وإبهاره، وأكثر الذين أسلموا اليوم من المثقفين كان سبب إسلامهم قراءة القرآن وتأثرهم بمعانيه وإن قرؤوها مترجمة بغير لغته، وعندما تنظر إلى من تأثَّروا بالقرآن فإنك لن تجد آية واحدة هي التي أثَّرت فيهم، ولا قضية واحدة هي التي أثرت فيهم جميعاً، ولكن نجد لكلٍّ منهم موقفاً مع القرآن يختلف عن غيره، وآياتٍ تأثَّرَ بِها كأنما أُنزِلت عليه وله، وشعر باختصاصها بحاله، وآخر تأثر بآياتٍ شَعرَ أَنها تعنيه هو بالذات وتصف حاله، فكلٌّ تأثر به من جانب معين، لأن كل واحد وجد فيه ما يبحث عنه، ويحل مشكلته، ويعالج قضيته، فإذا كان القرآن أثّر بصفةٍ دائمة على عقولٍ مختلفة وكلهم وجدوا فيه ما تتطلع له نفوسهم في العقيدة والسلوك، وحلولاً للمشكلات الكبرى التي تقلقهم فلا بُدَّ أن يكون مصدره ممّن خلق هذه النفوس وعلم دقائقها ومساربها، ومواضع انفعالها وتأثرها،

ومواطن تساؤلها وحيرتها، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤][1].

(١) يُنظر «النبأ العظيم» للشيخ محمد عبد الله دراز، و«القرآن المعجز» د. جاري ميلر.

ثالثاً: دلائل صدق القرآن

١- القرآن هو أول كتاب لدى أمة العرب ولا يُعرف للعرب كتاب مكتوب مؤلف بين أيديهم قبله، وهذا يدل على أن النبي ﷺ لم يتبع طريقة سابقة فيحتذي بها، وإنما أتى هذا النبي الأمي إلى أمة أمية بكتاب وما كانت تعرف الكتب.

إنه ﷺ رجل أمي نشأ بين قوم أمّيين، يحضر مشاهدهم ويعيش معيشتهم، لا صلة له بالعلم والعلماء، يقضي في هذا المستوى أكثر من أربعين سنة من عمره لم يُحفظ عنه أنه نظم شعراً، ولا ارتجل خطبةً، ولم يُروَ عنه قولٌ ممّا يُروى عن البُلغاء من أقوالهم، ثم يطلع فجأة فيكلمهم بما لا عهد له به سالف حياته، وبما لم يتحدث إلى أحد بحرف واحد منه قبل ذلك، ويبدي لهم فيه من أخبار تلك القرون الأولى والرسالات السابقة ومضامين دعوات الرسل وأنباء الآخرة والأولى، فأي منطق يسوغ أن يكون هذا الطور الجديد العلمي نتيجة

طبيعية لتلك الحياة الماضية الأُمّية؟ إنه لا مناص في قضية العقل من أن يكون لهذا الانتقال الطفري سر آخر يلتمس خارجاً عن حدود النفس وعن دائرة المعلومات القديمة.

٢- أن أسلوب النبي ﷺ في كلامه وخُطَبِه ومراسلاته معروف محفوظ، وهو شيء والقرآن شيء آخر لا يماثله ولا يقاربه من ناحية الصياغة البيانية.

٣- أنّ قصص الأنبياء يوسف وموسى وداود وسليمان وأيّوب وعيسى ومن قبلهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لم تكن تروى في تراث العرب، ولم يكونوا يعرفون تفاصيلها، وكانت معرفتهم مقتصرة على آبائهم إبراهيم وإسماعيل، فجاءت هذه القصص مفصلة في القرآن؛ ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩]، فمن أين أتى بها محمد ﷺ؟.

٤- وكما جاء بالأخبار الماضية التي لا يعرفها هو ولا قومه، جاء بالوعود الصادقة التي لم يكن شيء يدل عليها يوم قالها ولا يبشر بها يوم وعدها.

إنها آيات تناول بها محمد ﷺ ما وراء حسّه وعقله من أنباء ما كان وما سيكون وما هو كائن، وكيف أنه كلما حدثنا فيها عن الماضي صدقته شواهد التاريخ، وكلما حدثنا عن المستقبل صدقته

الليالي والأيام، وكلما حدثنا عن الله وملائكته وشؤون غيبه صدقته الأنبياء والكتب.

٥- أنّ من المعروف أن حياته ﷺ مرّت بأحوال صعبة، فكُلّ أولاده وبناته قُبضوا في حياته ما عدا ابنته فاطمة، وقد كانت له زوجة لها مكانة كبيرة في قلبه وحياته وهي السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثمّ ماتت في أصعب ظروف حياته، وبالرّغم من ذلك فإن القرآن الكريم لم ترد فيه مثل هذه الأشياء، لا موت بنيه، ولا موت زوجته، بالرغم من أن هذه الأمور قد آلمته وشغلته وأخذت جزءاً كبيراً من انفعالاته، ولو كان القرآن الكريم من نتاجه الشخصي لظهرت انفعالاته النفسية في نصوصه.

٦- كما أن قارئ القرآن سيُفاجَأ بأن القرآن لم يذكر اسم أمِّ النبي ﷺ ولا اسم زوجته التي كان يحبّها، ولا أيّاً من بناته، ولا أحداً من أصحابه الأقربين كصاحبه أبي بكر أو ابن عمّه علي أو عمه حمزة.

وإنما الأسماء التي تكررت في القرآن هي أسماء الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

والمرأة الوحيدة التي ذُكرت في القرآن باسمها، وتكرّر ذكرها، وسُمِّيتْ سورةٌ كاملةٌ باسمها هي مريم أم عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

إن هذه كلها دلائل على أن محمداً ﷺ لا يختار ما يُنزَّل إليه، ولكن يتلقّاه ويُبلِّغه كما بَلَغَه[1].

وأن هذا القرآن وحي أوحاه الله إلى محمد ﷺ كما أوحى إلى الأنبياء من قبله، وليس لمحمد فيه إلا تلقيه وبلاغه إلى الناس، ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

إن القرآن لم يصدر عنه بل ورد إليه، وإنه لم يفض من قلبه بل أفيض عليه.

(١) «القرآن المعجز» للدكتور جاري ميلر.

رابعاً: حفظ القرآن

جاء الوعد القرآني الساطع القاطع بحفظ القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وتنزّلت هذه الآية قبل أن يكتمل نزول القرآن وقبل أن يُجمع في كتاب، وهو عرضةٌ لضياع ما كُتب منه، ونسيان ما حفظ منه، ولكن الوعد القرآني كان جازماً يقينيّاً أنه محفوظ بحفظ الله الذي أنزله.

وننظر نحن اليوم من وراء القرون إلى وعد الله الحق بحفظ هذا الذكر، فنرى فيه المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب، ونرى أن الأحوال والظروف والملابسات والعوامل التي تقلبت على هذا الكتاب في خلال هذه القرون ما كان يمكن أن تتركه مصوناً محفوظاً لا تتبدل فيه كلمة، ولا تحرف فيه جملة، لولا أن هنالك قدرة خارجة عن إرادة البشر، أكبر من الأحوال والظروف والملابسات والعوامل، تحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل، وتصونه من العبث والتحريف.

وقد مرّت بالمسلمين حالات ضعف في قوتهم وتسلط من أعدائهم، وحاول الأعداء النيل من الإسلام والمسلمين بكل سبيل، لكنهم لم يستطيعوا تبديل نصوص هذا القرآن ولا تحريفها، ولم يكونوا في هذا من الزاهدين، فلقد كانوا أحرص الناس على بلوغ هذا الهدف لو كان يبلغ، وعلى نيل هذه الأمنية لو كانت تُنال، لكنهم لم يقدروا مع كلّ ما قدروا عليه أن يُحدثوا شيئاً في هذا الكتاب المحفوظ، فدلّ هذا على ربّانية هذا القرآن، وشهدت هذه المعجزة الباهرة على أنه تنزيل من الله العزيز الحكيم.

لقد كان هذا الوعد على عهد رسول الله ﷺ مجرد وعد، أما هو اليوم من وراء كل تلك الأحداث الضخام، ومن وراء كل تلك القرون الطوال، المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب، والتي لا يماري فيها إلا مُعانِد جهول.

وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩][1].

وها نحن نرى مئات الآلاف من مخطوطات القرآن المتباعدة في زمان كتابتها ومكان نسخها، ولا يوجد اختلاف بينها في كلمة فما فوقها، ونجد الملايين من حفاظ القرآن منتشرين في كل دول العالم،

(١) «في ظلال القرآن».

لا يختلف حفظ قارئ منهم عن غيره، ولا يزال المسلمون يقرؤون القرآن اليوم في مساجدهم كما كان يُقرأ في مسجد رسول الله ﷺ يوم أُنزِل عليه.

ولو وُجِد خطأ في نسخةٍ صحّحته آلاف النسخ، ولو أخطأ فيه قارئ صحّحه له ملايين الحفّاظ.

في حين تزدحم المكتبات بآلاف النسخ الخطية للكتاب المقدَّس، ولكن لا توجد منها نسختان متطابقتان، وكلّما اكتُشفت مخطوطات جديدة زاد عدد الاختلافات[1].

(١) «براهين النبوة» د. سامي العامري (٩٤)،

Bart Ehrman The Orthodox Corruption of Scripture: The Effect of Early Christological Controversies on the Text of the New Testament (Oxford: Oxford University Press 1996) p.27.

من سور القرآن وآياته

١ ـ سورة الفاتحة

٢ ـ سورة مريم

٣ ـ سورة ق

٤ ـ سورة الإخلاص

٥ ـ من آيات القرآن

سورة الفاتحة

سورة الفاتحة هي أول سورة في القرآن، وهي أعظم سورة فيه، كما قال النبي ﷺ لأحد أصحابه: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ، الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[1]. فهي سبع آيات وهي على اختصارها جامعة لمعاني القرآن الكلية، ولذا سميت أم الكتاب، فهي تضم خلاصة وجيزة لعقائد الإسلام، وعهداً وثيقاً بين الناس وربهم يحقق رسالتهم في الوجود، ورجاءً من الله أن يهدي الطريق، ويمنح التوفيق، ويُنعم بالرضا.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ١-٧].

(١) «صحيح البخاري» (٥٠٠٦).

ابتدأت السورة بحمد الله وشكره، فهو الذي أوجد هذه العوالم كلها مما نراه ومما لا نراه، ومما نعلمه وما لا نعلمه، فكل ذلك خلقه، وهو الذي يدبره ويحفظه ويُسَيّره، ونحمده ونثني عليه، فهو الذي أوجدنا في هذا العالم وتابع علينا نعمه، فرزقنا وحفظنا وأنعم علينا، وكرَّمنا فأعطانا مَلَكَة العقل والتفكير، وحرية الإرادة والاختيار، ودلنا على طريق الحق والهداية، وحذّرنا من طريق الضلال والخطيئة.

ثمّ ذكرنا بأعظم صفاته وهي رحمته الواسعة، فهو الرحمن، ورحمته الدائمة، فهو الرحيم.

ثم وصف نفسه بأنه مالك يوم الدين، وفي هذا تذكير بالآخرة، ويوم الدين هو يوم الحساب، حيث يُدان الناس ويجازون بأعمالهم إنْ خيراً فخير، وإنْ شرّاً فشر.

وهو عَزَّوَجَلَّ مالك يوم الدين، لأنه لا يَدّعي أحد فيه ملكاً، وتنتهي فيه أنواع المُلك المؤقتة في الدنيا.

وسوف يجيء الناس إلى يوم القيامة كما جاؤوا إلى الدنيا حفاة عراة ليس معهم شيء، ولا يبقى ملك حينئذ إلا لله وحده؛ ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ثم ذكر أهم قضية في الوجود وهي التوجه بالعبادة لله وحده والتوجه بالاستعانة إليه وحده، فلا نتوجه بعبادتنا إلا إليه، ولا نطلب حاجتنا إلا منه، فهو مقصدنا وحده لا شريك له.

ثم نسأل الله أعظم ما نحتاجه وأهمه وأخطره، وهو أن يسلك بنا طريق الهداية المستقيم الذي يوصلنا إليه، فنكون ممن أنعم عليهم ورضي عنهم وأكرمهم.

وأن يحفظنا فلا ننحرف عن هذا الطريق المستقيم فنسلك غيره، ونستحق الغضب، أو نَضِلَّ عنه فلا نهتدي إليه، فنتيه في حيرة الضلال، والله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم.

إن هذه السورة تدور على محور هو سؤال الهداية، فأولها حمد الله وشكره على ربوبيته، ثم ثناء على صفاته، وهي الرحمة الواسعة والملك المطلق، ثم التوسل إليه بعبادته وتوحيده، لنصل بعد هذا الحمد والثناء والتوسل إلى طلب الهداية، والتي هي نعمة من الله.

وتُبين هذه السورة أن الهداية هبة من الله، ونعمة عظيمة من نعمه، ولذلك نسأله أن نكون ممن أنعم عليهم بها.

فالهداية لا تدرك بالذكاء وحده، فكم من الأذكياء سخّروا ذكاءهم في الإجرام!، ولا تدرك بالعلم وحده، فكم من العلماء سخّروا علومهم في الإفساد والتدمير!، وكم من العباقرة والأذكياء تراهم متفوقين ومبدعين في كثير من شؤون الحياة لكنّهم مُخفقون في الإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى والخطيرة!، ولِذا تراهم يعبدون تمثالاً صنعوه، أو وهْماً توهموه، ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

وتُبَيِّن هذه السورة أن الهداية على طريق الله هي بالاستقامة، فمَنِ استقام اهتدى إلى الله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]، وأنَّ الحرمان من الهداية يكون بالإعراض عن العمل بها بعد معرفتها، فعندهم العلم وليس عندهم عمل، فاستحقوا الغضب.

أو الإعراض عن العلم بها وعدم بذل الجهد في التعرف عليها، فيوجد العمل ولكن بغير علم ولا هدى، فاستحقوا وصف الضلال.

وهذه السورة وما فيها من المعاني يحتاج المسلم إلى تكرارها، فيكررها في اليوم سبعة عشر مرة على الأقل، ونُكرِّر الدعاء بها لأنفسنا كما نكرر غسل أعضائنا، لأن أسباب هذا التكرار قائمة، فكما أن الجسم الإنساني لا يكفي في تطهيره غسلة أو غسلتان فكذلك النفس البشرية لا يكفي في تطهيرها دعوة أو دعوتان، بل لا بُدَّ من تكرار الوقوف بين يدي الله وسؤاله الهداية، فرعونات النفس ووساوس الشيطان لا تنتهي.

وهكذا في سطور قليلة تم تصوير العلاقة الوحيدة الصحيحة بين الناس ورب الناس، بالاعتراف به والثناء عليه، والاستعداد للقائه، والتعهد بعبادته وحده، ثم أن يجعلنا كما يحب ويرضى[1].

(١) يُنظر: «التفسير الموضوعي لسور القرآن» لمحمد الغزالي (٧-٩).

سورة مريم

هذه هي السورة الوحيدة في القرآن التي باسم امرأة، ولم تُذكر في القرآن امرأة باسمها إلا هي، وهي مريم أم عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولم يُذكر في القرآن أم الرسول محمد ولا أي من زوجاته أو بناته، وإنما ذُكرت مريم وتكرر ذكرها في القرآن (٣١) مرة، وخصصت سورة كاملة في القرآن باسمها وذِكْر قصتها، وسورة باسم أبيها عمران وفيها ذكر حمل أمّها بها وولادتها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ

وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٧]. وذلك لشرف مريم عَلَيۡهَاٱلسَّلَامُ وصِدّيقيَّتِها وعظيم عبادتها لله ويقينها به، وقد ذكر الله لنا أن الملائكة كانت تكلمها: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢]، فهي العذراء الطاهرة التي اختارها الله لتكون أحشاؤها محل معجزته بإرسال رسولٍ خُلق بأمر الله من غير أب.

ولضخامة القضية المتعلِّقة بمريم وهي أنها وابنها كانا بشراً من البشر يدعوان غيرهما إلى عبادة الله وحده، ولم يدّعيا ألوهيةً ولم يدعُوَا إلى عبادة نفسَيهما قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

ثم ذكرت السورة بعض مشاهد القيامة وجزاء الكافرين والمؤمنين في الآخرة، ومجادلة منكري البعث والرد عليهم.

ثم استنكار حالات الشرك الوثنية واتخاذ الآلهة الموهومة وعبادتها مع الله، ومنها دعوى اتخاذ الله الولد وهي فِرية عظيمة شنيعة، فالله عَزَّوَجَلَّ عظيم جليل لا ينبغي أن يتخذ ولداً، وهو الغني عن الصاحبة والولد: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن

لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١]، والمعنى الغالب في هذه السورة هو معنى الرحمة الإلهية، فهي تبدأ بذكر رحمة الله لعبده زكريا، وكما تكررت صفة الرحمة في سورة الفاتحة فقد تكررت في سورة مريم، حتى في موقف التهديد يُذكر اسم الرحمة: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم: ٤٥]، وذلك لبيان عظيم رحمة الله المتتابعة على الناس والغامرة لهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ

أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ
ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ
وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ
حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾
فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾
قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ
لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى
بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ
ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ
بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى
مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ
جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا
جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى
نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ
قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ
ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ
مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا
﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ

حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ
وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ قَوْلَ
الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ
كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي
عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ
إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا
﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ
وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا
﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا
جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ

ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴿٥٨﴾ [مريم: ١-٥٨].

تحدثت السورة في بدايتها عن ولادة يحيى والتي كانت معجزة متقدِّمة على ولادة عيسى، وكأنها تهيئة لها، فقد كانت ولادة يحيى معجزة بحدِّ ذاتها، فقد كان الأب شيخاً كبيراً، والأم عجوزاً عاقراً، فمَن أحيا الشيخ وأخصب العاقر ومَنَّ بالولد؟!.

ثمّ تحدّثت عن ولادة عيسى ابن مريم، وكشفت عن الإعجاز الإلهي في ولادة هذا النبي الكريم، والله لا يُعجزه شيء، فيجعل البكر تُنجب دون أن يمسَّها أحد، وخالق الأسباب لا تحكمه الأسباب.

وقد خلق الله عيسى من غير أبٍ، كما خلق قبله آدم من غير أب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

لقد كانت فاتحة هذه السورة بذكر قصة نبي الله زكريا وابنه يحيى ثم قصة مريم وابنها عيسى، ثم ذكر دعوة نبي الله إبراهيم لأبيه

إلى عبادة الله وحده، وتحذيره من عبادة الأصنام التي لا تغني عنه شيئاً، وتلطّفه وحسن أدبه في دعوة أبيه، حيث يدعوه بودّ ورحمة: يا أبتِ، يا أبت، وعندما حذّره من عذاب الله ذكره مقرونا باسم الرحمن فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [مريم: ٤٥]، أي أنَّ الله رحمن، ومن شأنه أن يَرحم، فلماذا تُعرِضُ عن رحمته وتتعرّض لعذابه؟!

فلما أصر أبوه على الوثنية اعتزله بأدب، وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧]. فكانت دعوة إبراهيم الأولى لأبيه وأقرب الناس إليه.

ثم ذكر الله فضائل الأنبياء الكِرام إسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإدريس وآدم ونوح، لتأكيد أن دعوة محمد ﷺ هي دعوة الأنبياء قبله، وأن رسالة محمد ليست دعوة طارئة على البشرية، ولكنها الحلقة الأخيرة من دعوات الرسل الكرام قبله، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الأحقاف: ٩].

ثم قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ

فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: ٥٩-٦٥].

ولَـمّا ذكر الله حال الأنبياء الطيبة النقية ذكر بعض مَن جاؤوا بعدهم وأساؤوا العمل وأعرضوا عن عبادة الله واتّبعوا شهواتِهم وذكر عاقبتَهم، وما أعدّ في الجنة لِمَن تاب وأقلع عن خطاياه وأحسن عمله.

ثم قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا

وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا ٧٦ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ٧٧ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٧٨ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ٨٠ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدّٗا ٨٢ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ٨٤ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧ ﴾ [مريم: ٦٦-٨٧].

وهنا ذكر الله بعض مقولات الكافرين المنكرين للبعث بعد الموت، فمنهم الذي يستبعد أنه بعد موته سيعود حيّاً، فيذكره الله أنّ مَن خلقه أول مرة قادرٌ على أن يعيد الحياة إليه بعد موته.

وهناك مَن يقول على وجه الاستبعاد والإنكار إنْ بُعثت يوم القيامة فسأُبعَث ومعي أولادي وثروتي، ولا يعلم أنه سيأتي يوم القيامة فرداً كما أتى إلى هذه الدنيا فرداً، وسيأتي حافياً عارياً يوم القيامة، كما أتى حافياً عارياً إلى الدنيا.

ثم ذكر عاقبة هؤلاء المكذّبين ومشاهد مصيرهم في الآخرة وما أَعَدّ لهؤلاء المكذّبين، وما أَعَدّ للمتّقين، وهو الجزاء الأُخرويّ الخالد بين نعيم مقيم أو عذاب أليم.

ثم قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ٩٨﴾ [مريم: ٨٨-٩٨].

ثم تُختَم السورة بمثل ما بُدِئَت به من الإنكار الشديد على دعوى اتخاد الله الولد، وأن هذا نقصٌ يُنَزَّه الله عنه، ويستنكره الكون كلّه، واستمع إلى الآيات تقصف كالرعد، وتُنكر بأشد أنواع الإنكار:

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

فهذا القول منكَر شديد، لا يصح أن يُنسب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فكلّ ما في السماوات والأرض وكلّ ما في الأكوان والعوالم خلقٌ لله، مسخَّرٌ بتسخيره، مسيَّرٌ بتدبيره، وليس معه في هذا الكون شريك، وليس له ولد سبحانه جَلَّوَعَلَا، كما قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ

صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ومِمّا نُلاحِظه تكرار ذكر اسم الله «الرحمن» في هذه السورة (١٦) مرة، وابتُدِئَت السورة بذكر رحمة الله لعبده زكريا، وخُتِمت بذكر رحمته ووُدِّه للمؤمنين، وفي هذا تذكير للناس برحمة الله التي تغمرهم وتصحبهم في حياتهم، ولولا رحمة الله ما قامت حياتهم ولا طاب عيشهم، وسوف يُحِسُّ الإنسان برحمة الله تحفّه في تردد أنفاسه، وفي لقمة طعامه، وجُرعة شرابه، وعافية جسده، ويقظة عقله، وتتابع النِّعَم عليه ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

ففي هذه السورة إيناس لنا بتكرار اسم الله الرحمن، لنستشعر رحمته التي تغمرنا في الدنيا، ونسعى لنيل رحمته العُظمى حين نرجع إليه، حيثُ الجنةُ مُستقَرُّ رحمته.

سورة ق

هذه السورة حديث عن الحياة بعد الحياة، عن الموت وما بعده، عن رحلتنا من عالم الحياة المشهود إلى عالم الآخرة الموعود.

جاءت السورة في أوّلها تحكي تعجّب المنكرين للبعث وإنكارهم له، ثم تورد الأدلة المشهودة على الإحياء بعد الموت، وتذكّرهم مصير المُكذّبين قبلهم.

ثم تنتقل إلى مشهد آخر وهو خلق الإنسان والإحاطة والرقابة الكاملة على أفعاله وأقواله وخواطره، ثم وصف لحظة المغادرة، ومفاجأة الموت الذي طالما غفل الإنسان عنها، وما بعد ذلك من مشاهد الحساب والجزاء في الآخرة.

ثم تعود السورة للتذكير بعاقبة المكذّبين الذين أُهلكوا في القرون السابقة، كما بدأت السورة بذكر البعث وإثباته فقد ختمت بالتذكير

بالاستعداد لليوم الآخر يوم الخروج من القبور والإسراع إلى الحشر والحساب والجزاء.

فهي سورة الآخرة من أولها إلى آخرها، تُبدئ في ذكر الآخرة وتُعيد، وتفصّل وتذكّر، فهي سورة رهيبة شديدة الوقع، تأخذ على النفس أقطارها، وتثير فيها رعشة الخوف وهيبة الموقف ورجفة الصحو من الغفلة عن الأمر المهول، والذي سننتهي إليه لا محالة، وسنعيشه حقيقةً ويقيناً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًاۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة ق: ١-١٥].

في طليعة السورة الحوار مع منكري البعث، حيث يستبعدون أن يعودوا إلى الحياة بعد أن صاروا تراباً في الأرض.

بأدلة عظيمة مشهودة تدلهم على البعث الآخر والإحياء بعد الموات.

الأول: مدّ أبصارهم إلى الخلق الهائل العظيم، خلق السماء، فهم يرون أبعادها الهائلة ونجومها السائرة، وخلق الأرض في سعة امتدادها، ورسوّ جبالها، وبهجة أشجارها، فمَن كان هذا الخلق الهائل العظيم خلقُه، لن يعجزه أن يعيد الحياة إلى الإنسان القليل الضئيل بعد موته، ويعيده إليه مرة أخرى؛ ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

وهذا المعنى قد ذكره الله في آية أخرى، فقال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

الثاني: إحياء الأرض الميتة بالماء ينزل عليها فتحيا بعد موات، وتهتز بعد همود، وتخرج أشجارها وثمارها وزهرتها وبهجتها، بعد أن كانت هامدة مجدبة، وهذا مشهد متجدد ينتظره الناس ويتابعونه، وهو مشهد لإعادة الحياة بعد الموات، كإعادة الحياة إلى الناس بعد موتهم، وقد ذكر الله ذلك في آية أخرى فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

الثالث: أن الله هو الذي خلق الإنسان أول مرة، ومَن أنشأ خلقه الأول قادر أن يُنشئه مرة أخرى، ويعيده إلى الحياة بعد موته، وقد جاء ذلك في آيات أخرى، منها قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

فإعادة الحياة إلى الإنسان أهون من خلقه من العدم أول مرة، وهذا لتقريب المعنى، لفهم الإنسان، فإن كل ذلك هين على الله، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وكل هذه دلائل على البعث بعد الموت، وعلى المصير إلى الله في الدار الآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ

ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ٢٦ * قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٢٧ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧ ﴾ [سورة ق: ١٦-٣٧].

وفي هذا المشهد رحلة الحياة بمراحلها من النشأة الأولى في الحياة الدنيا حيث دار العمل تحت رقابة الله وعلمه المحيط، والذي يعلم السِّرّ وأخفى، ويعلم ما تُكِن صدورهم وما يُعلنون، فهي رقابة تأخذ على النفس أقطارها، وتتابعها في حركاتها وخطراتها، فكل نفس معدود، وكلّ خاطرة معلومة، وكل حركة محسوبة، وكلّ ذلك مكتوب، والله عَزَّوَجَلَّ عالم الغيب لا يَعزُب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

ثم تنتهي مسيرة الحياة القصيرة العجلى، وتفاجئ الإنسان سكرة الموت على غفلة عنها، هي سكرة لأنها غيبوبة عن الحياة الدنيا، واستقبال للحياة الأخرى.

ثم ينتقل المشهد إلى عالم الآخرة ومشهدها المهول الرهيب، مشهد البعث والحشر والحساب والخصام، وهنا نرى مشهدين يحيطان بالإنسان، الملك الذي كان يكتب ما عمله فهو يقدّمه ويقول: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ٢٣]. والشيطان الذي كان يُغويه ويزيّن الشّرّ له، فيتبرّأ منه، وهو يقول: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدِۭ﴾ [سورة ق: ٢٧]. وسرعان ما ينتهي هذا الخصام إلى مستقرّ الجزاء فالمجرمون معذَّبون في طريق الجحيم، والمتَّقون قُرِّبَت لهم الجنة غير بعيد، وكان مؤهلات هذا الإكرام خشيتهم الله في الدنيا، ويقينهم بالآخرة، وتوّجه قلوبهم إلى الله، فإذا الجنة التي آمنوا بها في الغيب قد صارت عياناً يرونها ويُزَفّون إليها بترحاب: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [سورة ق: ٣٤، ٣٥].

إنّ الإيمان بالبعث بعد الموت، ولقاء الله في الدار الآخرة ليس فكرة نظرية، ولكنه شعور حيّ يوجّه حياة الإنسان وتصرفاته فيها حين يفعل أو يترك.

وإن الفارق بعيد بين حياة الإيمان برحابتها وطيبها ويقظة الضمير فيها وبين الحياة التي تقدّمها الحضارة المعاصرة، والتي قلّما تذكر الله أو تستعدّ للقائه، أو تشعر برقابته وإشرافه.

وإن الموت عند الماديين الملحدين هو نهاية الحياة وبداية العدم، ولكن سيكون ما بعده مفاجأة صادمة لم يحسبوا لها حساباً: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [سورة ق: ٢٢].

ثم عادت الآيات تذكّر المغرورين في الدنيا بأن مظاهر القوة التي في أيديهم قوة موقوتة، سرعان ما تنكشف وتضمحلّ أمام قدرة الله وانتقامه، وقد عبَرت قبلهم في أحقاب التاريخ أمم كانت أشد منهم قوة وأكثر جمعا، فلم تدفع عنهم قوّتهم، ولم ينفعهم جمعهم، وزالوا عن الدنيا كأنْ لم يكونوا فيها.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة ق: ٣٨-٤٥].

وهكذا عادت السورة كما بدأت تتحدث عن العالم وخلقه، وأن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما من أكوان ومجرّات وكواكب في ستة أيام ولم يمسسه في ذلك رهق ولا إعياء، وهذا إبطال لدعوى أن الله خلق الكون في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع يوم السبت.

وهذا قول لا يمكن أن يكون من كلام رسل الله وهم أعلم الخلق بالله.

إنَّ هذا الكلام جهل بالله وسوء ظنٍّ به، فالله عَزَّوَجَلَّ له القدرة المطلقة، وهو على كل شيء قدير، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ولو أن الله استراح كما زعموا فمَنِ الذي كان يقوم على هذا الكون حينها فيسخِّره ويسيِّره؟!.

والحقّ أن نسبة التعب والراحة إلى الله حماقة افتراها أناس جاهلون ونسبوها إلى كتب الله المقدسة، والقرآن الكريم نزّه الله عن هذا اللغو وأثبت له ما يستحق من عظمة ومجد.

ولِذا أَمَرت الآيات بالصبر على ما يقوله الجاهلون، والتوجه إلى الله بتعظيمه وتنزيهه وعبادته، والاستعداد للقائه القريب بعد هذه الحياة.

ثم تُختَم السورة بالتذكير بعمل الأنبياء ورسالتهم إلى البشرية، وهي: إيقاظ العقل، وإقناعه، والتأكيد على حرية الإرادة والاختيار، وأنه التذكير وليس الإكراه على الإيمان، وأنّ محمّداً لم يكن جباراً

يوماً ما، ولا أكره أحداً على الدخول في دينه قطّ. وهذا ما أكّده القرآن في آيات كثيرة كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]. ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

سورة الإخلاص

هذه السورة القصيرة، كلها حديث عن الله عَزَّوَجَلَّ، توحيداً وتنزيها وتعظيماً، ولعظمة معاني هذه السورة وفضلها أخبر النبي ﷺ إنها تعدل ثلث القرآن(١).

وكان أحد الصحابة يكررها ويقرؤها في كل صلاة، فأخبر الصحابة النبي ﷺ بذلك، فقال ﷺ: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**». فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»(٢).

وفي هذه السورة كليات التصور الصحيح الذي يعمر قلوب المؤمنين عن ربهم عَزَّوَجَلَّ، وعظمته وجليل صفاته.

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٠١٣)، «صحيح مسلم» (٨١١).

(٢) «صحيح مسلم» (٨١٠).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

ابتدأت السورة بتقرير وتأكيد وحدانية الله، فلا رب غيره، هو الإله الحق وما سواه من الآلهة الموهومة زائفةٌ باطلةٌ.

هو الله أحد، لا ثاني له، ولا ثالث، وكل ما عدا الله مخلوق لله وعبد خاضع له.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١].

وهذه القضية هي دعوة الرسل التي تتابعوا على تأكيدها والدعوة إليها، فكانت دعوة كل رسول لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

واتخاذ الآلهة مع الله هي أعظم حماقة وأكبر خطيئة وقعت فيها البشريه، حيث سوت غير الله بالله، وصرفت حق الله لغير الله، ولذا سُمّي ذلك بالظلم العظيم كما قال الله تعالى عن وصية لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وهو جَلَّوَعَلَا الصمد، فهو السيد الذي يقصده مَنْ في السماوات والأرض، فالعبادة تتوجه إليه وحده، والدعاء والإعانة تُطلب منه وحده، فماذا يملك غيره والملك ملكه؟!

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

فهو سبحانه الملك الحق، وكل ما سواه فهو ملك له، هو خالقه ومدبره والمتصرف فيه، فإذا احتجنا قصدناه بحاجتنا، وإذا دعونا توجهنا إليه بدعائنا، وقد أخبر النبي ﷺ أن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**». وقال ﷺ: «**يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ[1] اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، وَقَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**»[2].

﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ [الإخلاص: ٣].

فلم يلد لأن الولادة حاجة لامتداد الوجود، وتتابعه، والله هو خالق الخلق، ومُوجِد الوجود، فنسبة الولد إلى الله هي نسبة نقص إلى الله ينزَّه عنه، ثم هي تقتضي وجود زوجية تقوم على التماثل، وهذا كذلك

(١) سحّاء أي: متدفقة وفائضة بالإنفاق في كل الأوقات.

(٢) «صحيح البخاري» (٧٤١١)، «صحيح مسلم» (٩٩٣). يغيض: أي ينقص.

محال، ولوجود هذه اللوازم الباطلة نفى الله عن نفسه الولد، وبيّن أن هذا قول شنيع يتنافى مع عظمة الله، وينكره كل مَن يعرف الله ويعظمه، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٗۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وهو كذلك لم يولد، لأن الولادة وجود بعد عدم، وهو محال على الله، فالله عَزَّوَجَلَّ له الكمال المطلق، هو الأول قبل كل شيء، وهو الآخر بعد كل شيء، وهو المحيط بكل شيء.

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٤]: فليس هناك إله يماثله، ولا يوجد مَن يساويه في صفة من صفاته، فصفاته صفات الكمال المطلق الذي لا يلحقه نقص، وهو المتفرد بهذه الصفات العُلى جَلَّوَعَلَا.

ولا يمكن تشبيهه بشيء من خلقه، ولا يستطيع الخيال إدراك عظمته أو تصورها، فالخيال محدود بما يدركه، والله عَزَّوَجَلَّ له الكمال المطلق، وله الجلال والعظمة.

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وكلّ ما فصّلته هذه السورة هو تأكيد لأول جملة فيها، وهي أحدية الله فهو الأحد الذي لا شريك له، وإبطال تعدد الآلهة، ونفي الشركاء.

إن نظام الكون الهائل والدقيق لا يحتمل تعدد الآلهة، فهو نظام كوني واحد، متناغم منسجم، تضبطه إرادة واحدة، وتدبره قدرة واحدة.

والذي يدبر حركة الدم في الأوردة والشرايين في جسد كل حي هو الذي يُسير الكواكب والأفلاك والمجرات في أقاصي الآفاق، وكل ذلك في نظام دقيق، وإتقان عجيب، وكل ذلك شواهد على عظمته ووحدانيته، كما قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

من هدايات آيات القرآن الكريم

من هدايات آيات القرآن الكريم

القرآن زاخر بالتوجيهات، وتصحيح التصورات، والتحذير من الاخطاء والانحرافات، ولا يمكن عرض هذه القضايا في هذا الكتاب المختصر، ولكن نختار بعضا من التوجيهات التي أكد عليها وكررها، ليكون لدى القارئ أنموذج لهدايات القرآن وتوجيهاته للبشرية، يدفعه للتعرف على غيرها مما في القرآن من توجيه ودلالة على الخير، ففي القرآن دستور الحياة ونظامها، فمن ذلك:

١- معرفة الله

لا يمكن للبشر معرفة الله حقَّ معرفته، فكما أن أبصارهم لا تُدرك رؤيته، فكذلك عقولهم لا يمكنها تخيّل ذاته، وتقديره حقّ قدره، ولا سبيل لهم إلى التعرف على الله إلا بما عرّفهم به جَلَّوَعَلَا عن نفسه المُقدَّسة.

وقد عرف الله نفسه للبشرية في القرآن العظيم بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلى الدالة على جلاله وعظمته ورحمته وفضله، ومِن ذلك قوله تعالى:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣﴾ [الأنعام: ١-٣].

وقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٥ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٦﴾ [الحديد: ١-٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

٢- دلائل عظمة الله في الكون

ومما يدل الله به البشر على عظمته، عظمةُ خلقه المحيط بهم والذي يرونه ويعرفونه، وذلك بربط هذه المخلوقات التي نعيش بينها ونعيش بها بقدرة الله وتدبيره، وتصريف مخلوقاته وما جعل الله فيها من النعم لنا، وكل ذلك يدلنا على عظمة من خلقها ودبَّرها وجعل فيها منافعها.

فيأمرنا بالتفكر في عظمة الكون، وبديع الصنع، وإلى حكمة التقدير والتدبير، والذي لا يمكن أن يحدث إلا من رب كبير له قدرة عظيمة، وعلم محيط، وحكمة بالغة، ورحمة واسعة.

وحين ننظر إلى أنفسنا وإلى العالَم حولنا ندرك أن الخالق قديرٌ حكيمٌ عليمٌ، لا منتهى لكماله ولا حدَّ للثناء عليه.

وجاءت آيات القرآن تدلّ على ذلك، وتنبّه على أنّ هذا الكون يدلّ على خالقه ويهدي إليه، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ

إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٣، ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ٩-١٤].

إن وحدة هذا الكون في نظامه وتكامله ودقته قاطعة بأن الخالق واحد جَلَّ وَعَلَا، فمَنْ خلق الإنسان هو مَنْ خلَق الحيوان، ومَن خلق الأرض هو مَن خلق الشمس والقمر، وأوجد بين مخلوقاته هذا الترابط والتكامل، وليس في الكون مخلوقات يمكن أن يدعي أحد أنه خلقها، فالكل خلق الله.

كما أنّ النظر في ملكوت الله هو نظر إلى نعم الله التي تحيط بنا، ونعمه التي سخرها لنا، ولذا يرِدُ ذكرها في القرآن مرتبطاً بعبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٤، ٦٥].

٣- توحيد الله

إن أعظم الحقائق وأوضحها برهانا وحدانيةُ الله جلا وعلا، وتفردُه بالخلق والتدبير، وتفردُه باستحقاق العبادة وحده لا شريك، فوحدانية الله حقيقة أزليّة أبديّة، وكذلك افتقار العالم كلّه إليه، ولذا جاءت آيات القرآن تقرر هذه الحقيقة، وتدلل عليها، وترد على من خالفها.

وبرغم عظمة هذه الحقيقة ونصاعتها فإن البشرية كثيراً ما كانت تضل عنها فتتخذ مع الله آلهة أخرى، وتتوجه بالعبادة إلى غير الله من التماثيل والأصنام والكواكب والآلهة المتعددة، في ثقافات كثيرة من الأمم.

وكانت رسالات الرسل تتتابع لتصحيح هذا الانحراف، ودلالة البشرية على خالقها المستحق للعبادة وحده.

لقد كانت أكبر حماقة وقعت فيها البشرية هي التوجه بالعبادة إلى غير الله، وإشراك المخلوقات في حق الخالق الذي لا يجوز التوجه به إلى غيره وهو العبادة، والتي لا تليق إلا له عَزَّوَجَلَّ، وكيف يرتفع المخلوق إلى مستوى الخالق؟ وكيف يسوّى بين الموجود ومَن أوجده؟!.

وكان من أعظم الإكرام للإنسان أن شرَّفه الله بأن تكون عبادته لله وحده فلا يتوجه بالعبودية لغير ربه الجليل، فالعبودية لله وحده تحريرٌ للإنسان من كل عبودية لغيره.

كما أنّ من أعظم الظلم صرف حقّ الله الذي لا يستحقّه غيره إلى من لا يستحقه ولا يليق به، فيشترك مخلوق ضعيف مع خالقه العظيم، ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

ولضخامة هذه القضية وأهميتها، وكثرة الانحراف البشري عنها، جاءت الآيات كثيرة في عددها ومتنوعة في دلالتها لتأكيد هذه الحقيقة العظمى وهي وحدانية الله وإفراده بالعبادة.

ومن ذلك:

﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ

أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٤-٦].

وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

٤- مغفرة الله ذنوب عباده

النفس البشرية عُرضة للخطأ، والوقوع في الذنوب، وارتكاب الخطايا في لحظات الضعف وغلبة الشهوة، وقد أمر الله الخاطئين إذا وقعوا في خطأ أو اقترفوا ذنباً أن يبادروا بطلب المغفرة من الله، ووعدهم بمغفرة ذنوبهم إذا استغفروا، ومحو سيئاتهم إذا تابوا، ولِذا فإن من أسمائه عَزَّوَجَلَّ الغفور والتواب.

وأكّد ذلك في القرآن في آيات كثيرة فقال تعالى:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

ومِن فضل الله أنْ وسّع فرصة التوبة وجعل مساحة العمر كلها مساحة للتوبة، فمتى تاب العبد تاب الله عليه ما لم يحضره الموت، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

وطلب المغفرة من الله علاقةٌ مباشرة بيننا وبين الله، ولا واسطة فيها لأحد من البشر، فلا نقدِّم اعترافاً لأحد، فالاعتراف لله فقط، ولا نطلب المغفرة من أحد فطلب المغفرة من الله وحده، لا تُطلب من غيره، ومتى توجّه الخاطئ إلى الله بندم قبِل الله توبتَه، وغفر ذنبه، كما قال تعالى في وصف هؤلاء التائبين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

٥- استجابة الله دعاء عباده

أمر الله عباده أن يدعوه ويسألوه حاجاتهم ورغباتهم، ووعدهم أن يجيب دعاءهم، وإجابة الله الدعاء لا تكون دائماً بتحقيق ما طلب العبد مباشرةً، فإن الله عليم حكيم فقد يؤخّر الإجابة لحِكمة يعلمها هو وحده، ولا يعلمها ذلك الإنسان المحدود الإدراك، وقد يعطيه الله أفضل مما سأله كما قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**». قَالُوا: إِذن نُكْثِرُ، قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**»[(١)].

وقد أمر الله بدعائه في القرآن في آيات، منها:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(١) «مسند أحمد» (١١١٣٣).

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

٦- عبادة الله

العبادة هي طاعة الله في أداء ما افترض علينا مع الخضوع والتعظيم والحب له جَلَّ وَعَلَا.

وقد بين الله في القرآن أنه إنّما خلق الخلق لعبادته فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وكلّ ما في هذا الكون مسبّح لله عابدٌ له، فالسماوات والأرض وما فيهنّ مسخّرٌ لله بالعبودية، ومسبِّحٌ له بعظمته، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وتسبيح هذه الأكوان بالتّسخير، وعبودية الجنّ والإنس لله بالتّخيير، حيث جعل الله لهم حرّية الاختيار، فأداؤهم للعبادة هو باختيارهم، ولذا عظّم الله أجور الطائعين، وتوعّد بعقاب العاصين.

وتكرر في القرآن أمر الله للناس بعبادته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [يس: ٦١].

وتكررت دعوات الرسل إلى قومهم بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ، فقال كل نبي لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال المسيح لقومه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن عبادة الله عَزَّوَجَلَّ إقامة الصلاة، والدعاء، والصدقة على الفقراء، والإحسان للناس، وبر الوالدين، وغيرها من العبادات، ومن عبادة الله تجنّب المحرمات، ومن أعظمها عبادة غير الله، وقتل النفس البريئة، وأخذ مال الغير بغير حق، والزنى، وعقوق الوالدين، وغيرها من المحرمات.

٧- الدين الذي نعبد الله به

نحن لا نختار ديننا، ولكن الله هو الذي يختاره لنا ويرتضيه، ولِذا أرسل الرسل بالدين الحقّ، والذي اتفق الرسل كلهم على أصله، وهو توحيد الله بالعبادة، فكل الرسل اتفقوا على توجيه العبادة لله وحده، وعدم صرف شيء منها لغير الله عَزَّوَجَلَّ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

أما الشرائع فكانت تتغير مع الرسل لتغيّر أحوال الحياة، وكانت كل شريعة تلغي الشريعة التي قبلها، حتى رشدت البشرية وتراكمت معارفها، فأرسل الله آخر الرسل محمّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بآخر الرسالات وهو الإسلام، وجعله الدين الذي يصلح أن يصاحب البشرية إلى آخر الزمان، وألغَت شريعة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ورسالته الشرائع السابقة، فلا يقبل الله من أحدٍ ديناً إلا الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية، وأكمله لهم، وأتمّ به النعمة عليهم، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

فليس لأحد أن يختار ديناً غير الإسلام ليصل إلى الله به، فكل طريق غير طريق الإسلام لن يوصل إلى الله كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فكل الطرق غير الإسلام لا تؤدّي إلا إلى الضلال والحَيرة وهي افتراء على الله وكذِبٌ عليه كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصف: ٧].

وقد جعل الله في الدين الحق دلائل الصدق، فكلّ مَن تعرّف على رسالة الإسلام وجد أن العقل يفهمها والفطرة تقبلها، وعلم أنها رسالة الله إلى البشرية، وليست مشكلة أكثر الذين لم يتبعوا الإسلام أنهم لم يقتنعوا به، ولكن مشكلتهم أنهم لم يتعرفوا عليه، ولو عرفوه لتقبّلوه واقتنعوا به.

٨- الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

جاء ذكر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في القرآن محفوفا بالتكريم لهم، والإشادة بهم، وأنهم النموذج الرائع للاقتداء، وقد تكرر ذكر الأنبياء الكرام في القرآن كثيرا، فذكر نوح (٤٣) مرة، وإبراهيم (٦٣) مرة، وموسى (١٣١) مرة، وعيسى (٢٥) مرة، ومحمد (٤) مرات، كما ذُكر زكريا ويحيى وهارون وداوود وسليمان وغيرهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ومما يؤكده القرآن وجوب الإيمان بهم جميعا، وعدمُ التفريق في الإيمان بهم، وأنهم جميعا رسل الله الذين اصطفاهم وأرسلهم برسالته، قال تعالى:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ

مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧].

وقال: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٦].

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

٩- معرفة الرسول ﷺ

جاءت آيات القرآن تعرف بالنبي ﷺ وتؤكد بشريته، وأنه عبد لله مرسل من عنده، وأنَّ رسالته عامة لكل البشر في كل مكان وزمان، وذكر صفاته الكريمة وأخلاقه العظيمة.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وأكدت آيات القرآن على أن النبي محمداً ﷺ بشر من البشر، فليس مَلَكاً، وليس معبوداً، ولكنه عبد لله ورسول من عنده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وأكّد النبي أن سلسلة الرسل والأنبياء قد اختتمت به، ونفى أي احتمال لتوقع نبي آخر بعد نبوته، أو لشريعة أخرى بعد شريعته، وهي حالة استثنائية غير معهودة في تاريخ النّبوات.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال رسول الله ﷺ: «**وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(١).

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٥٥)، و«صحيح مسلم» (١٨٤٢).

إن موسى لم ينف مجيء نبي بعده، بل على العكس، بشَّر به وأكده، ولقد جاء حقّاً نبيٌّ بعد موسى وهو المسيح عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وإن المسيح لم ينفِ مجيء نبي بعده، بل على العكس، بشّر به وأكده، ولقد جاء حقّاً نبيٌّ بعد المسيح وهو محمد.

أما محمد فهو وحده، من بين كل الأنبياء، الذي لم يبشر بأي نبي بعده، بل على العكس أكَّد بنفسه وأكد كتابه أنه «خاتم النبيين»، وأنّه لا نبي بعده[1].

وما يزال تأكيده صامداً على الزمن لم يهتز، رغم مرور هذه الفترة الزمنية الطويلة، وغير المسبوقة في تاريخ النبوات[2].

(١) «الأسئلة المصيرية» د. بسام الساعي.

(٢) «الأسئلة المصيرية» د. بسام الساعي.

١٠- مكانة العقل في القرآن

جاءت آيات القرآن تخاطب العقل وتدعو إلى إعماله في آيات كثيرة، فيتكرر النداء: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤]، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]. ويعيب القرآن الذين عطّلوا عقولهم واكتفوا بتقليد من سبقهم بلا تعقّل ولا بصيرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

عاتبت آيات القرآن الذين عطّلوا عقولهم فلم ينظروا ولم يستدلوا، فكأنهم بلا عقول حين عطّلوا نظر عقولهم في أهم قضاياهم، وهي الدين الذي يتبعونه فقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وبيّنت آيات القرآن أن الله قد وهب الإنسان القدرة العقلية على التمييز بين الحق والباطل، وترك له حرية الإرادة والاختيار، وتحمل مسؤولية القرار: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٢، ٣]. وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

لذلك فلا يوجد في قضايا الإيمان في القرآن ما يحرج العقل أو يجعله في أزمة، بل نجد في كل ما يقرره ملاءمة مع التصور العقلي الصحيح، وانسجاماً مع الفطرة السوية المشتركة بين الناس جميعاً.

وأهمّ قضيّة ينبغي أن يُعمِل الإنسان فيها عقله، ويفكر فيها بعمق: تفكيره في الأسئلة المصيرية في الوجود، من أين أتيت؟ وما هي مهمتي الحقيقية في الحياة؟ وإلى أين نهايتي ومصيري؟ ولن يجد الجواب اليقيني المطمئن إلا في الوحي الإلهي، وأصدق وحي لدى البشرية هو القرآن، وفيه الإجابة على أسئلة الوجود المصيرية الحرجة.

ومَن أخذ القضية بجِدٍّ وبذَل جهده للوصول إلى الحقيقة وسأل ربه الهداية فإن الله لن يتخلى عنه، وسيهديه إلى الطريق الصحيح، والدين الحقّ.

وأمّا مَنِ استخف بهذا الأمر ولم يتعامل معه بجِدّية وأعرض عن رسالة الله ولم يُعمِل فيها عقله وتفكيره فقد ارتكب جريمة في حق

نفسه، حيث أضاعها في متاهة الحَيرة، وعرّضها لخسارة المصير قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

١١- الأخوة الإنسانية

وعندما يخاطب الله البشرية فلا يخاطب عرقاً ولا جنساً وإنما يناديها بهذا النسب إلى أبيها الجامع لها: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

وفي نسبة البشر إلى أبيهم آدم توحيد لأجناسهم وألوانهم وأعراقهم، وإلغاء لنعرات التمايز العنصري بينهم.

وتقرر آيات القرآن أن العلاقات بين شعوب الأرض وقبائلها التعارف، والتعارف طريق التعاون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣].

وتقرر آيات القرآن أن الله أكرم الإنسان تكريماً عامّاً، منذ أبينا آدم، فليس هناك جنس مميز مكرم وآخر أقل مكانة وتكريماً.

﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وفي القرآن الكريم بناء العلاقات الإنسانية مع العالم على الإحسان والبر في المعاملة، وعلى العدل وعدم الظلم عند الاختلاف.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وأكد على الإحسان للإنسان في حال ضعفه واحتياجه حتى وإن كان عدواً محارباً تمّ أسره، فالأسير في حال ضعف فهو محل للإحسان والعطف؛ وعندما ذكر صفات عباد الله المكرمين في الجنة قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، فكل هؤلاء ضعفاء ومحال للعطف والإحسان: المسكين واليتيم والأسير.

١٢- العلاقة بالوالدين

وذكّر الله الأبناء برعاية والديهم لهم في وقت الصِّغَر والضعف، وما تحمّلاه في ذلك من مشقّة وعناء، وأكّد أن حقّ البِرّ وحسن المصاحبة باقٍ ومتأكد حتى وإن كان الوالدان على دين آخر غيرِ الإسلام، فاختلاف دينهما لا ينقص حقّهما، فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

وأكّد الله في القرآن على برّ الوالدين واحترامهما وحُسن صحبتهما، وجعل حقّ الوالدين مقروناً بحقّه جَلَّوَعَلَا تعظيماً لقدرهما، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا

قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٥].

١٣- الأخلاق في القرآن

جاءت آيات القرآن تحث على الأخلاق الكريمة، وترغِّب فيها، وتقدمها على أنها عبادة لله كما أنها تعامل مع الناس، فالصدق عبادة لله، والإحسان عبادة لله، والوفاء عبادة لله، وجزاؤه عند الله كريم وعظيم، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة:١١٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ

وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتًا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١١، ١٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨].

١٤- المرأة في القرآن

للمرأة ذكرها وشأنها في القرآن منذ وجودها الأول في شخص أم البشرية حواء زوجة آدم، فيذكر الله خلق آدم وخلق زوجته معه، لتتكون منها الأسرة البشرية الأولى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

وعندما يخاطب الله في القرآن عباده يخاطبهم خطاباً عاماً يشمل الرجال والنساء، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وقال: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٤].

وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وعندما ضرب الله قدوةً ومثلاً للمؤمنين رجالاً ونساءً ضرب لهم المثل بامرأتين مؤمنتين عظيمتين لتكونا قدوة للمؤمنين فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١١، ١٢].

وفي القرآن حفاوة عظيمة بمريم وبأمها وتعظيم لمكانتها، فذكرها في سياق ذكر الرسل الكرام: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

وقال عن أمها امرأة عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: ٣٥، ٣٦].

وعظم مكانة مريم، وذكر اصطفاء الله لها وثناء الملائكة عليها فقال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣].

لقد جعل الله من مريم آية للعالمين كلهم، طهارة وعفة وصبراً وتحملاً.

قواعد قرآنية

قواعد قرآنية

في القرآن الكريم آيات كثيرة هي قواعد في الحياة، ونظام للعلاقات، جمعت معاني كثيرة في ألفاظ قليلة، ومنها:

١ ـ ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]:

هذه قاعدة الكلام ودستوره بين الناس، وهو اختيار الكلام الحسن والبعد عن الكلام الفاحش المؤذي، حتى مع المخالفين في الدين، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، فلا يقول كلمة وهو يجد أحسن منها، وإنما يختار أحسن القول فيقوله.

٢ ـ ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]:

جاءت هذه الوصاة في آية تتحدث عن الطلاق والمفارقة بين الزوجين، ثم ختمت بهذه الوصاة، وهي أن يتذكروا الفضل فيما بينهم، وهو العفو والإحسان، فإذا كان الفضل في التعامل يوصى به عند الفراق فمن باب أولى أن يكون عاماً بين الناس في حال التواصل والوفاق، وأن يتذكره الإنسان ولا ينساه ويظفر به كلما أمكنه.

٣ ـ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]:

وهذه حقيقة جلية تكررت في آيات القرآن، تؤكد التبعية الفردية التي تربط كل إنسان بعمل نفسه، إن اهتدى فلها، وإن أخطأ فعليها، وما من نفس تحمل وزر أخرى، ولا أحد يظفر بثواب يستحقه غيره، ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٨، ٣٩]. فلن يحمل أحدٌ وزر أحد، ولن يأخذ من حسناته أحد.

وشعور كل فرد أنه مجزيٌّ بعمله عامل مُطَمْئِن، فلا يقلق الفرد خيفة أن يؤاخذ بجريرة غيره، ولن يرث خطيئة اقترفها أحد قبله.

٤ ـ ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص: ٧٧]:

هذه كانت إحدى نصائح قوم قارون لما آتاه الله الكنوز الهائلة ففرح بها وبغى على قومه، واستكبر عليهم، فنصحوه بنصائح منها توجّهه إلى المنهج القويم في التعامل مع الثروة، وذلك بالتوجه بماله إلى العمل للدار الآخرة، حيث هي منقلبه ومصيره الخالد، وأن يقدم من ثروته لآخرته، ولا يحرمه ذلك أن يتمتع برفاهية الحياة وطيباتها، وأن ينفق أمواله في مصالحه الدنيوية، وهذا توجيه إلى التوازن في الإعداد لعبور الحياة الدنيا والاستعداد للقدوم على الحياة الآخرة، وبتحقيق هذا التوازن والاعتدال تؤدَّى حقوق الآخرة من غير حرمان للنفس من طيبات الحياة ونعيمها.

٥ ـ ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]:

هذه الجملة جزء من آية تكمل معناها وتوسعه وتوضح دلالاته وأبعاده، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

إن هذه الآية تذكر الجوامع الكبرى بين البشر، وهي ألوهية الله لهم وأنهم جميعاً خلقه، وأصلهم البشري الواحد من أبي البشرية آدم وأمهم زوجته، وأن التنوع بينهم شعوباً وقبائل وبلداناً وألواناً تنوع لا يقتضي الشقاق والاختلاف، ولكنِ التعارفَ والتعاون.

وليتحقق العدل في التعامل بين البشر تُسقط هذه الآية المعايير الأرضية التي يتمايز بها الناس ويفترقون ويختلفون ويتحاربون، وهي التعصب للعنصريات الصغيرة، كالعصبية لعرق أو لون أو قومية، أو التعالي على الناس بمنصب أو مال، فتُسقط كل هذه المعايير الأرضية وتشدّ الناس إلى القيم الربانية والأخلاقية السامية، والتي جِماعها تقوى الله عَزَّوَجَلَّ، وهي القيمة المعتبرة عند الله، وبها ترتفع النفوس عن العنصريات الضيقة إلى رحابة الأفق الإنساني الواسع.

٦ ـ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]:

في هذه الآية أمر بالتحدث عن نعمة الله عَزَّوَجَلَّ، وليس فيها ذكر مَن يتحدث إليه بهذه النعمة، وأول من يتحدث الإنسان إليه بنعمة الله هي نفسه، فيتذكر نعم الله التي يعيش بها والتي تصاحبه في حياته، والتي لو فقد شيئاً منها ما طابت له الحياة.

هذه النعم التي اعتادها حتى لا يشعر بها، فهذه نعمة العقل التي ميّزته عن الحيوان، والصحة التي يعيش بها، ولقمة الطعام التي يأكلها بتلذّذ، وشربة الطعام يشربها بهناء، والسقف الذي يأوي إليه بأمان، ونعمة العافية والسلامة من أخطار تحيط به، ولا يزال يعدد النعم حتى يشعر أنه منغمر في نعم من الله كثير، يستطيع أن يعدّ منها ولا يستطيع أن يحصيها: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. ولا يزال الإنسان يحدّث نفسه بنعم الله حتى يشعر بالغنى والوفرة، وتنقشع عن نفسه قتامة الكآبة والحرمان، ولا يزال يحدّث نفسه بنعم الله الوافرة التي يتمتّع حتى يعظم امتنانه لله وشكره له، ومحبته وتعظيمه وكثرة التوجه إليه عند كل حاجة.

وقد كان النبي ﷺ يكرّر حديث النعم كل ليلة قبل أن ينام، فيقول: «**الْحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ**»[1].

لقد ذكر النبي ﷺ هنا النعم المعتادة والتي يُضعِفُ تكرُّرها الإحساسَ بها، ولكن تحديث النفس بها يُجَدِّد تذوّقها والامتنان لله بها.

(١) «صحيح مسلم» (٢٧١٥).

الخاتمة

هذه سور من سور القرآن الكريم، وآيات من آياته، هي نور من أنواره، نتعرف منها على ذلك الكتاب الأعظم الأكرم.

إنّ أي كتاب عظيم تقرؤه مرة، مرتين.. وفي الثالثة ربما يصيبك الملل، إلا الكتاب الأعظم القرآن الكريم، تقرؤه ألف مرة ولا تشعر بالملل.. في كل قراءة جديدة يدهشك ويمتعك، ويكشف لك أسراره.

يفتح لك النوافذ المطلة عليك! فترى نفسك، وترى الكون حولك.

يعطيك المجهر، لترى الأصغر، ويمنحك التليسكوب، لترى الأبعد والأكبر.

يأخذك منك إليك!، شيء لا يمكن وصفه، يتسلل إلى داخل روحك، فتخشى، وتخشع، وتدمع.

كأنك «آلة» وهذا الكتاب الوحيد الذي يشرح تفاصيلك، ويعرف مكامن الخلل فيك، ويصلح العطل الذي أصابك!

هو الخريطة.. هو البوصلة.. هو الجهة.. هو الطريق.

كل كتاب تنتهي عجائبه، وتنفد دهشته.. إلا هذا الكتاب.

في القرآن الكريم من أول سطر في أول صفحة إلى آخر سطر في آخر صفحة: أنت أمام بناء محكم متين.. لم ولن تجد فيه خطأ واحدا.

الهندسة تذهلها هندسته، والكيمياء لم ولن تصل إلى سر هذا التفاعل الكيميائي الذي تحدثه آياته فيك.

في كل كتاب، بعد عدة قراءات.. تكتشف مواضع النقص والخطأ فيه، إلا القرآن الكريم، ففي كل قراءة تكتشف مزاياه كمالاً وإبهاراً[1].

(١) من تغريدات الأستاذ محمد الرطيان.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥

تمهيد: التعريف بالقرآن الكريم ٩

أولاً: كيف أُنزِل القرآن؟ ١١

ثانياً: براهين القرآن ١٤

ثالثاً: دلائل صدق القرآن ١٩

رابعاً: حفظ القرآن ٢٣

من سور القرآن وآياته ٢٧

سورة الفاتحة ٢٩

سورة مريم ٣٣

سورة ق ٤٤

سورة الإخلاص ٥٣

من هدايات آيات القرآن الكريم ٥٩

١ – معرفة الله ٦٢

٢ – دلائل عظمة الله في الكون ٦٤

٣ – توحيد الله ٦٧

٤ – مغفرة الله ذنوب عباده ٧١

٥ – استجابة الله دعاء عباده ٧٣

٦ – عبادة الله ٧٥

٧ – الدين الذي نعبد الله به ٧٧

٨ – الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ٧٩

٩ – معرفة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ٨١

١٠ – مكانة العقل في القرآن ٨٤

١١ – الأخوة الإنسانية ٨٧

١٢ – العلاقة بالوالدين ٨٩

١٣ – الأخلاق في القرآن ٩١

١٤ – المرأة في القرآن ٩٣

قواعد قرآنية ٩٧

١ ـ ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾: ٩٩

٢ ـ ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾: ١٠٠

٣ ـ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾: ١٠٠

٤ ـ ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾: ١٠١

٥ ـ ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾: ١٠١

٦ ـ ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾: ١٠٢

الخاتمة ١٠٤

تعرّف على القرآن

ليس هناك أحد إلا وهو بحاجة إلى قراءة آيات القرآن التي أنزلها الله إلى البشرية، ليجد الإجابة الصحيحة الواضحة على أسئلة الوجود الحرجة: من أين أتيتُ؟ ولماذا؟ وإلى أين أتجه؟ وما المصير الذي سأنتهي إليه؟

ففي آيات القرآن تتضح الحقيقة، وتُعرَف المهمة، ويتحدد الاتجاه، ونعلم النهاية والمصير، ونتلقى أصدق الإجابات عن أخطر أسئلة الوجود وأكثرها إلحاحًا.

وفي هذه الصفحات، سورٌ من سور القرآن الكريم وآياتٌ من آياته، مع تعليق يسير يُقرِّب معانيها؛ لتكون نموذجًا معرِّفًا بالقرآن لمن لم يقرأه، فيجد فيها شعاعًا من ضيائه، وقبسًا من أنواره، ولتكون محفزاً للاستزادة من هدايات القرآن واستكمال قراءته.